

قصص من المأساة □□ الكتب من مصدر للفكر إلى وقود للطهي والتدفئة (تقرير)



الخميس 21 ديسمبر 2023 07:57 م

"لكل شخص الحق في الحياة والحرية والأمن الشخصي"، هكذا ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في مادته الثالثة، بوصفه أهم وثيقة اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو ما يمثل جوهر حقوق الإنسان الأساسية □□ إلا أن هذه الحقوق تطبق في جميع دول العالم الغربية والأوروبية، لكنها محرمة في الدول العربية وعلى رأسها فلسطين، حيث يستباح كل شيء بدءاً من روح الإنسان وحياته، مروراً ببلده ووطنه، وانتهاء بمشروعاته الفكرية والثقافية □□ وفي ظل الحصار المطبق على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، واستمرار الحرب لـ76 يوماً متواصلاً، لم يجد الغزاويون شيئاً لتجهيز لقمة طعامهم، إلا حرق كتبهم المدرسية والثقافية وأطروحاتهم للاجستير والدكتوراه، بعد نفاذ شبة كامل للحطب في بعض المناطق، ومنع الوقود والغاز من الوصول لأيدي الفلسطينيين في القطاع إلا بالقدر الضئيل □□ وتناولت وكالة "الأناضول" تقريراً موسعاً يظهر هذه المأساة المفجعة، كما يرويها الأهالي في قطاع غزة، بعد أن لجئوا للطهي بالطرق القديمة باستخدام الحطب وأوراق الكرتون من أجل إشعال النيران بهدف الطهي والتدفئة، إلا أنهم اتجهوا مؤخراً للكتب الثقافية لتحقيق هذا الهدف للاستمرار في الحياة بأقل المقومات □□ ومن غالبية مناطق القطاع المكتظة بالسكان خاصة في الجزء الجنوبي، ينبعث الدخان الأسود الكثيف الناجم عن حرق الأوراق، ويتداخل مع دخان القصف الإسرائيلي مسبباً ما يصفه المواطنون بـ"ضبابية الرؤية". كما يسبب الدخان الناجم عن هذه المواد المحترقة، أمراضاً في الجهاز التنفسي للمواطنين الذين يجلسون أمامه لساعات طويلة منتظرين لحظة الانتهاء من إعداد الطعام □□ ومنذ اندلاع الحرب المدمرة على القطاع، قطعت إسرائيل إمدادات الماء والغذاء والأدوية والكهرباء والوقود عن سكان غزة، وهم نحو 2.3 مليون فلسطيني يعانون بالأساس من أوضاع متدهورة للغاية □□ وبعد ضغوط أممية ودولية سمحت إسرائيل بدخول مساعدات إنسانية محدودة جداً إلى غزة عبر معبر رفح، والمخصص للمسافرين في المقام الأول □□ وكان القطاع يستقبل يومياً نحو 600 شاحنة من الاحتياجات الصحية والإنسانية، قبل الحرب التي يشنها الجيش الإسرائيلي منذ 7 أكتوبر، إلا أن العدد تدنى إلى نحو 100 شاحنة يومياً في أفضل الظروف □□

رسائل ماجستير ودكتوراه

قالت الإعلامية الفلسطينية إسماء المدلل، إن والدتها وشقيقها اضطرا لحرق أطروحات الدكتوراه من أجل إعداد رغيف الخبز □□ وأضافت المدلل، في منشورات لها قبل أيام على وسائل التواصل الاجتماعي: "رسالة الدكتوراه لأمي السيدة نعيمة ولاثنين من أشقائي الدكتورين عبد الله ومحمد، جمعوها هذا الصباح لإحراقها بدلاً من الحطب والخشب الذي نفذ، من أجل رغيف الخبز وكوب شاي ساخن". وتابعت: "بعد أن خدمت أُمِّي عمرها مع الأمم المتحدة كأول امرأة مديرة المنطقة التعليمية في رفح لوكالة (أونروا)، وبعد أن فتحت بيوت علم ورثت أجيالاً وأسست نهجاً تربوياً هو الأول في الشرق الأوسط، تحرق كل رسائلها للماجستير والدكتوراه، وكذلك فعل إخوتي بعد سياسة التجويع التي يطبقها العالم علينا، الكل مسؤول ومتخاذل ومشارك بالجريمة". وكذلك فعلت الفلسطينية ربا أسليم، التي اضطرت لحرق رسالة الماجستير خاصتها، لإشعال النار اللازم من أجل طهي القليل من المكرونة لأطفالها، التي حصلت عليها كمساعدات □□

وكلما خفتت حدة النيران التي تشتعل تحت قدر الطعام، تمزق أسليم المزيد من أوراق رسالتها لضمان الاشتعال حتى ينضج الطعام □□ وتقول وهي تضيف المزيد من الأوراق للنيران المشتعلة: "لم يعد لدينا خيارات، الإنسان احترق بفعل النيران الإسرائيلية، هل سنحزن لأجل هذه الرسائل؟".

وتضيف، وهي تنظر بحسرة إلى مجهودها الذي استغرق منها أكثر من عام: "هذه الرسالة كانت دائمًا تشعرني بالفخر، لكن اليوم نحارب التجويع من خلال إشعال النيران بأي وسيلة بعد نفاذ الحطب الموجود لدينا، وارتفاع سعر الحطب المتواجد في الأسواق لأرقام كبيرة".

كتب ثقافية



في مدينة رفح أقصى جنوبي قطاع غزة، لجأت مجموعة من المواطنين إلى الكتب الثقافية الموجودة في مكتبة "البحرين"، التابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "أونروا" لاستخدامها في إشعال النيران [] هذه المكتبة، التي شكلت دائمًا قبلة للمثقفين والقراء وللأنشطة الثقافية والفكرية، تحولت إلى مصدر للوقود "الورقي" الذي يسهم في إشعال النيران لطهي الطعام [] وأفاد شهود عيان يقطنون بالقرب من هذه المكتبة، أن مجموعة من المواطنين دخلوا قبل أسابيع هذه المكتبة وأخرجوا مجموعات من كتبها لحرقها [] بدوره، قال المدون الفلسطيني حمزة أبو توهة في منشور على فيس بوك في 25 نوفمبر الماضي: "مكتبة البحرين المليئة بما لذ وطاب من كتب وموسوعات نشأت في أحضانها منذ تأسيسها قبل 13 عامًا، مرت بجانبها اليوم فوجدت الناس قد فتحوها وأخذوا كل ما فيها من كتب وأرفف وأخشاب حتى يشعلوا نازًا تصنع لهم الخبز بعد انعدام الغاز والوقود". وأضاف: "جلست على ركبتي أبكي على مشهد الكتب والموسوعات التي يحملها الناس للحرق، بعد أن أحرق كثير منهم ملابس لهم لذلك الغرض". وتحتوي مكتبة البحرين التابعة لـ"أونروا"، والتي يتواجد منا فرعين منها الأول في جباليا شمالي القطاع والثانية في رفح، آلاف الكتب كما تضم مختبرًا للحاسوب وقاعة سينمائية ثلاثية الأبعاد []

مضاعفات صحية



فضلا عن أن هذه الكتب التي يتم حرقها تمثل خسارة معرفية، إلا أن الدخان المنبعث عنها يسبب مضاعفات صحية خاصة في الجهاز التنفسي للأشخاص الذين يجلسون قبالة أو يتعرضون له مباشرة []
النازحة أم رائد أبو غالي، التي تعيش في إحدى خيام النزوح قرب الحدود المصرية الفلسطينية، قالت، إنها تشعل النيران بشكل يومي باستخدام الورق المأخوذ من كتب مدرسية []
وأضافت: "ابنتي جلبت معها بعض الكتب المدرسية خلال رحلة النزوح من مخيم الشاطئ للاجئين الفلسطينيين غرب مدينة غزة، فاستخدمتها في إشعال النيران لصناعة أكواب الشاي الساخنة، وبعض الطعام وفق ما توفر لديها من مساعدات إنسانية يتم توزيعها".
وأوضحت أنها قبل رحلة النزوح، كانت تستخدم الحطب من أجل إشعال النيران، لافتة إلى أن استنشاقها المتكرر لدخان هذه المواد المحترقة أصابها بصعوبة في التنفس []
ويتعذر على أبو غالي التوجه للمراكز الصحية أو المستشفيات التي تعمل وفق نظام الطوارئ من أجل تلقي العلاج، معربة عن خوفها من تفاقم وضعها الصحي []
وفي نوفمبر الماضي، حذرت منظمة الصحة العالمية من انتشار الأمراض جراء اكتظاظ النازحين في الملاجئ، وتعطل عمل النظام الصحي في بعض المناطق []

سياسة التجويع

والاثنين، قالت منظمة "هيومن رايتس ووتش" الدولية، إن استخدام الحكومة الإسرائيلية "تجويع" المدنيين كسلاح في غزة، يعتبر بمثابة "جريمة حرب".
وأضافت في تقرير لها: "الجيش الإسرائيلي يتعمد منع إيصال المياه والغذاء والوقود، بينما يعرقل عمدا المساعدات الإنسانية، ويجرّف المناطق الزراعية، ويحرم السكان المدنيين من المواد التي لا غنى عنها لبقائهم".
ومن جهته، قال عمر شاكر، مدير شؤون إسرائيل وفلسطين في المنظمة: "لأكثر من شهرين، تحرم إسرائيل سكان غزة من الغذاء والمياه، وهي سياسة حث عليها مسؤولون إسرائيليون كبار أو أيدوها، وتعكس نية تجويع المدنيين كأسلوب من أساليب الحرب".
وأضاف: "تضعف الحكومة الإسرائيلية عقابها الجماعي للمدنيين الفلسطينيين ومنع المساعدات الإنسانية باستخدامها القاسي للتجويع كسلاح حرب".
وفي 6 ديسمبر الجاري، أفاد برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة، أن 9 من كل 10 أسر في شمال غزة، وأسرتين من كل ثلاثة في جنوب غزة، أمضوا "يوماً كاملاً وليلة كاملة على الأقل دون طعام"، بحسب التقرير []